علاقة الفلسفة بالواقع، سؤال الفلسفة واليومي

The relationship of philosophy to reality, the question of philosophy and daily

أحمد ماريف

جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)، ahmed.marif@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2023/05/02 تاريخ القبول: 2024/06/30 تاريخ النشر: 2024/06/30

الملخص:

ما هو شائع بين عامة الناس أو حتى خاصتهم من المثقفين، أن الفلسفة علم نظري لا يحاكي الواقع، ولا يهتم بقضايا الحياة اليومية ومشكلاتها. فأحدث ذلك شرخاً عميقاً بين الإنسان والفلسفة، وبين الذات والفكر، وألحق الضرر الجسيم بها، فأدى إلى بروز نظرة متشائمة نحو الفلسفة والمشتغلين بها. لذا جاءت هذه الورقة لتكشف عن طبيعة العلاقة بين الفلسفة والواقع، متسائلة عن سبب هذه القطيعة التي أحدثها الأفراد بمختلف توجهاتهم ومستوياتهم العلمية مع الفلسفة.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة، الواقع، الراهن، الفيلسوف، اليومي.

Abstract:

What is common among the general public and their intellectuals, the issue of philosophy is that it is a theoretical science that does not simulate reality, and does not care about the issues and problems of daily life. This caused a deep rift between man and philosophy, and between the self and the thought, and caused serious damage to it, leading to the emergence of a pessimistic view of philosophy and its operator. Therefore, this paper came to reveal the nature of the relationship between philosophy and reality, wondering about the reason for the rupture made by man with philosophy.

Key words: philosophy, reality, Current, philosopher, everyday.

المؤلف المرسل: أحمد ماريف، **الإيميل:** ahmed.marif@univ-biskra.dz

1. مقدمة:

إنّ الحكم على الأشياء مع الجهل بها غالباً ما يوقع في الزّلل والخطأ الكبير، وهذا ما حدث مع الفلسفة في صراعها المتواصل مع المعارضين لها، الذين يرفضونها بمبررات مختلفة أهمها: أنها لا تتعامل مع القضايا الراهنة، ولا تحاكي مشكلات اليومي، متجاهلين بذلك أنّ التفكير في الفلسفة وأهميتها وموقعها في منظومة الحياة تفلسف في حد ذاته. لذلك برزت صورة لدى عامة الناس وخاصتهم تُظهر الفلاسفة على أنهم أناس يعيشون بمنأى عن الحياة اليومية وعن الدرس اليومي، فينظرون إليهم على أنهم يقيمون في بروج عالية بعيدين عن أرض الحقيقة، باعتبارهم كائنات غريبة لا علاقة لهم بحياة البشر والواقع المعاش.

هذا ما جعل الفلسفة والفلاسفة موضع اتهام لدى بعضهم، لأسباب عدة علمية و دينية وايديولوجية وصلت حد التكفير، وإعلان حرب عشواء على الفلسفة وممارسيها، فكانت سبب لقطيعة بين الإنسان والفلسفة، وبين الفكر والواقع.

جاءت هذه الورقة لتكشف عن العلاقة بين الفلسفة والواقع من خلال سؤال الفلسفة واليومي. فما هي الفلسفة؟ وما هو اليومي؟ وما علاقة الفلسفة باليومي؟ وهل يمكن أن يكون اليومي أفقا للتفلسف، أملا علاقة للفلسفة بمواضيع اليومي؟ و كيف يمكن تفسير العلاقة بين الفلسفة والواقع؟ وكيف السبيل إلى إثباث عكس ما يدّعيه البعض بخصوص هذا الغياب وهذه القطيعة بين الفلسفة واليومي؟

هذه الأسئلة والفرضيات هو ما سنحاول أن نكشف عليه ونجيب عنه، من خلال اتباع منهجية اعتمدنا فيها على تقديم عام للموضوع، ثم التعريف به من خلال تحديد بعض المفاهيم التي رأينا أنها محورية ومفتاحية مثل الفلسفة، اليومي، وتحديد خصائصهما، ثم تبيين طبيعة العلاقة بين الفلسفة واليومي، مبرزين أهم المواضيع اليومية التي تتناولها الفلسفة.

2. الفلسفة والواقع

1.2تعريف الفلسفة:

كلمة الفلسفة: "بالفرنسية **Philosophie**، وبالإنجليزية**Philosophy**، وباللاتينية**Philosophi**. لفظ مشتق من اليونانية، وأصله **فيلا–صوفيا**، ومعناه **محبّة الحكمة Phila–sophi**" (عبد الرزاق بلعقروز، 2010، ص68)، وبما أنّ الفلسفة هي

محبّة الحكمة فإن الفيلسوف هو محب الحكمة، أي المؤثر لها، ومؤثر الشي هو من يجعل منه غايته وهدفه في الحياة، هذا بخصوص تعريف الفلسفة والفيلسوف كما تشكّلا في بدايتهما، وهو تعريف سرعان ما سيتغيّر وتتسع دلالته بحث لم يعد محصورا في محبّة الحكمة، وإنما أخذ دلالات ومعاني متعددة وكثيرة وهذا بحسب كل مدرسة ورؤيتها الخاصة بها للفلسفة، لهذا يجب التّأكيد على أن مفهوم الفلسفة يتلوّن في كل مرحلة بلون معين وهذا بحسب العصر الذي تتواجد فيه من جهة، وبحسب الظروف التي تميّز هذا العصر أو ذاك، وكل عصر إلا ويعطينا ويمدنا بدلالة جديدة حول مفهوم الفلسفة، لهذا سوف نتطرق باختصار إلى بعض تعريفات الفلسفة عند بعض الفلاسفة في عصور مختلفة.

لنبدأ بسقراط الذي يعرف الفلسفة على أنها "**تطبيق عملي Praxis بالمعنى الأسطوري للكلمة أكثر مما هي شعر Poiésis، هي نشاط أكثر مما هي خلق، هي ممارسة أكثر مما هي نتاج...**" (عبد الرزاق بلعقروز، 2010، ص70).

أما أفلاطون فكان يرى أن "**الفلسفة لا تدوّن وإنّما تنبثق من النفس أي أنها تجربة ذاتية روحية تعاش أكثر منها حقيقة منطقية...أي أنها ذوق وكشف**" (محمد جديري، 2009، ص265)،فهي البصر بالخير والجمال والحق، وهي ضرب من التهذيب المستمر للنفس وتطهيرها من شواغل المحسوسات، "**فالإنسان لا يكون فيلسوفا إلا اذا انبثقت الأفكار من نفسه وكانت معبّرة عن ذاته**" (محمد جديدي، 2009، ص265)بالخير ويذهب أرسطو إلى أنّ الفلسفة هي العلم بالمبادئ الأولى للكون، وهي بحث في الوجود بما هو موجود.

وهي عند ابن سينا "**صناعة نظر يستفيد منها الإنسان في تحصيل ما عليه الوجود كلّه في نفسه، وما الواجب عليه عمله مما ينبغي أن يكتسب فعله لتشرف بذلك نفسه**" (عبد الرزاق بلعقروز، 2010، ص76)،فهي بهذا التعريف علم بالموجود وإصلاح للسلوك بغية تحقيق السعادة في الدنيا والاخرة.

أما في الفترة الحديثة وعلى تنوع فلاسفتها فقد كانت عند ديكارت أشبه بشجرة "**جذرها الميتافيزيقا، وجذعها الفيزيقا، والفروع التي تخرج من هذا الجذع هي كل العلوم الأخرى التي تنتهي إلى ثلاثة علوم رئيسية هي: الطب والميكانيكا والأخلاق... فالفلسفة تبعا لهذا هي علم كليّ، تعنى بالمبادئ ولا تهتم بالتفاصيل**" (عبد الرزاق بلعقروز، 2010، ص80).

وفي الفترة المعاصرة فقد تميّزت الفلسفة "**بانفتاحها على ميادين كانت مهمّشة أو مستبعدة كالدين وأنساق العبارة ووقائع الخطاب ومؤسسة السجن وغيرها من المفاعيل اللاعقلانية. يقول الفيلسوف ميشيل فوكو "ماهي إذن الفلسفة اليوم–وأعني النشاط الفلسفي– إذا لم تكن العمل النقدي، لنفكر بالفكر ...**" (عبد الرزاق بلعقورز، 2010، ص87)،وبهذا فقد تميّزت الفلسفة المعاصرة بتعدد مجالاتها وانفتاحها أكثر فأكثر متخذة منه عاملا محوريا في قيامها و وجودها بغية التوضيح والتفسير، والنقد والمساءلة، والتشخيص والتقويم والتقييم، وهذا ما كان مع الكثير من الفلاسفة المعاصرين من أمثال نيتشه، وفوكو، وفوانسواداغوني...

هذه بعض التعريفات التي حاولنا أن نبرز من خلالها انتقال وتحول المفهوم من مرحلة إلى أخرى وهي في مجلمها تعريفات نخلص منها: أنّ الفلسفة "**تعاش كتجربة، ملمحها هو الإبداع، تنطلق من مشكلات عصرها، وترتبط بالسياق الاجتماعي والتاريخي للأمة التي نشأت فيها، كما ترتبط بالسياق اللغوي والأدبي الذي يتناسب مع مقتضياتها البنيوية...إن الفلسفة اليوم هي تاريخ أفكار وتمرين على التفكير وفقا لقيم الفكر الفلسفي(النقد، الفحص، الشك، المنهجية، الحوار، التدمير...)**" (عبد الرزاق بلعقروز، 2010، ص110).

2.2 الموقف السلبي من الفلسفة:

موضوع هذا المبحث هو علاقة الفلسفة بالواقع، وسؤال الفلسفة واليومي، اخترنا هذا العنوان للكشف عن التصور السائد لدى عامة الناس وحتى خاصتهم من المثقفين، الذي يقدم الفلاسفة على أنهم يعيشون قطيعة مع الواقع ومع اليومي باعتبارهم لا يقومون سوى بعملية صياغة الأفكار في شكل طلاسم لا تقدم أي إضافة للأفراد والمجتمعات، ومن هذا نشأ تهجم على الفلسفة والمشتغلين بالفكر الفلسفي خصوصا. هذه الصورة القاتمة عن الفلسفة نجدها تتجلى بوضوح في مجتمعاتنا ولدى الكثير من مثقفينا والذين هيمنت عليهم تلك النظرة الإقصائية لكل ما هو فلسفي، هذه النظرة "**التي ترتدي تارة ثوب التكنولوجيا...وتارة أخرى ثوب التدين لتعلن أن الفكر الفلسفي يعادي في كنهه الإيمان**"(فتحي التريكي، 2009، ص06).

هذا ما يجعلنا نحاول الكشف عن طبيعة العلاقة بين الفلسفة والواقع المعاش، ونبيّن كيف يمكن للفلسفة أن تتعامل مع دروب الحياة اليومية، وأن تبرز حضورها

ومساهمتها الظاهرية والباطنية في بناء الأفراد والحضارات والمجتمعات. فبعدما أُشبعت الفلسفة بالأفكار المسبقة خاصة في فضائنا العربي أصبحت تحمل وزر تاريخها، فنجد المواطن العادي يتنكر للفعل الفلسفي وهو بتنكره هذا يصدر فعلا فلسفيا آخر بدون شعور و"**هذا تحت وقع أفكار فلاسفة تنكروا للفلسفة وخاضوا حربهم ضدها تحت راية الشريعة أو قراءة خاصة لها(الغزالي خير مثال على ذلك)، وتغذى هذا الموقف من موقف فلاسفة آخرين نأوا بأنفسهم عن مشاغل الناس واستعاضوا عن تغيير الواقع برسم صور لمدن فاضلة كم هي جميلة لكنها لا تقوى عن تنفس هواء عالمنا الأرضي فتتبخر تبخر الحلم الجميل(مثل مدينة الفارابي الفاضلة) أو وجهوا خطابهم إلى خاصة الخاصة**"(سليم دولة، 2008، ص06). فالفلسفة في علاقتها بالواقع بتجلياته المختلفة العلمية والدينية هو من ولّد النظرة السلبيّة إلى الفلسفة، مما حرّك المتشدّدين والمتنطعين لقناعة دينية أو علمية أو مذهبية إلى التهجم على الفلسفة، وعلى المشتغلين بها رافضين إيّاها ومساهماتها في تنوير الفكر وتكوين الإنسان وبناء المجتمع العارف الواعي المفكّر الذي يسعى لولوج عالم التقدّم والتحضّر.

3.الحضور الفاعل لليومي في الفلسفة

1.3 تعريف اليومي:

يحدد اليومي باعتباره "**هو كل ما يحيط بي وأدركه حالا ودون واسطة ليصبح قريبا منّي وحاضرا في ذهني، حضورا مستمرا، فالمحيط هنا يعني فضاء الحياة اليومية كالعائلة مثلا أو الحي أو القرية والمدينة، كما يعني أيضا الفضاء الواسع كالبلد أو مجموعة من البلدان التي يكون الانتماء إليها انتماء حميميّاً**."(فتحي التريكي، 2009، ص60)، وهنا يجب أن ندرك ونفرق بين اليومي والشعبي، لأن اليومي لا يعني ولا يفيد وصف ما يحدث، ومميزاته مثل المعنى الذي يحمله العادي أو الشعبي، بل يفيد نمط ظهور الحدث ونمط تصوّر المحيط، ذلك يعني أن مجال التجربة العادية أي مجال ما يحدث أو يمكن أن يحدث هو مجال اليومي...فاليومي هو كل الأشياء التي تحدث بصفة منتظمة في عالمنا وتصبح حياتنا العادية..." وبالتالي هو كل الأشياء التي تكون قابلة للمعاودة والظهور، وهنا تأتي ضرورة التفكير في هذا اليومي والبحث فيه ومحاولة فهمه والتدبر في أمره وحاله، وبهذا فهو

مستدعى ليكون موضوع تفكير فلسفي، فاليومي حاضر دائما كفاعل للتفكير والتفلسف حول قضايا الواقع والحياة كونه المحرّك لفعل الفلسفة.

وفيما يخص استدعاء اليومي ليكون موضوعا للتفكير الفلسفي "**يقول بيار ماشري... حقا إن في واقع اليومي المعيش بعدا للالتباس يستحيل استئصاله، سيحكم على هذا اليومي أن يتّخذ أرضيّة شبه موضوع لا يمكن على أي حال مجابهته. من هنا نستنتج أن اقتحامنا مسلك فلسفة اليومي هو مجازفة التفكير في المتغيّر والمتحول والمتحرك والغامض ... فعالم الحياة اليومية يقدم نفسه بوصفه نظاما متمركزا سويّا...**"(فتحي التريكي، 2009، ص64)، ومنه فاليومي هو الذي يتكرر كل يوم، ويظهر أمامنا بنفس الشكل فهو الذي يعيد نفسه في كل لحظة، ومن خصائصه التشابه والمعاودة، فهو يتجلى في طريقة أكلنا ولباسنا وعلاقاتنا مع بعضنا ومع محيطنا، إنّ اليومي يتجلى في الدين والمعتقد ووسائل الإعلام وما تنقله من أخبار...إنّ اليومي يمارس سلطة خفية علينا، سواء كنا مستشعرين لهذه السلطة المباشرة أو غير مستشعرين لها، فلا بد من الإقرار بسلطته التي تظهر في احترامنا للعادات والتقاليد والقوانين المختلفة.

2.3 تجليات اليومي في الفلسفة أو قضايا اليومي والفلسفة:

فهم فلسفة اليومي يتمثل في استخراج المعنى المؤسس لليومي وطبيعة الحركية التحوّلية موضحة شروط إمكان هذا. فالفلسفة تبحث داخل هذا الحاضر العادي اليومي حضوريته وداخل الظاهر ظاهريته، وبالتالي فالفلسفة تقرّب اليومي وتشخّصه من خلال ثلاث مقاربات وهي: المقاربة الأنطولوجية، المقاربة الفينومينولوجية، المقاربة الاختلافية التنوعية. فاليومي هو فلسفي والفلسفي هو معيش والمعيش هو راهن وواقع لا بد من معايشته ومعاشرته ومواطنته او مصاحبته ومجاورته ومجاراته والأخذ به أو اصلاحه وتهذيبه وتوجيهه وترشيده ولا يرشده الا الفيلسوف فهو صاحب الفكرة التي تنفتح على الواقع والراهن وهو من يبحث عن الحلول الملائمة لها، "**لهذا نجد الفيلسوف المفكر التونسي فتحي التريكي يدعو الى تشييد فلسفة جديدة سمّاها بالفلسفة المفتوحة، وهذا ما كانت عليه أيضا فلسفة كارلبوبر والتي عبر عنها فتحي التريكي على أنها فلسفة انفتاحية. عبّر عنه على أنها تحرّر العقل الذي يقود نحو فضاء التغير المحدودة من الفكر والخيال**" (لخضر مذبوح، 2009، ص159).

يعني هذا أنّ فلسفة بوبر حسب التريكي هي فلسفة تسعى للتوسّع والتغير المستمر والانفتاح من أجل إيقاظ العقل من غيبوبة الأساطير ودفعه للبحث عن مستقبل منفتح، وهذا الذي قامت به الفلسفة عبر تاريخها الطويل وهذا أيضا الذي يجب أن تقوم به في زماننا المعاصر حتى تبرز وتثبث وجودها، و حتى إن غاب فغيابه ليس غيابا فعليا وإنما هو حضور يرتدي مظهر الغياب لأنه ومهما حاولنا وعملنا وسعينا الى تغييب أو إخفاء أو إقصاء الفلسفة والفلاسفة من الواقع فهذا أمر يفوق الحسبان لأنه تحت كل غياب هناك حضور والغياب هو غياب لا مرئي فقط، فهو غياب نظري وليس بالغياب الواقعي بحكم أنّ الفلسفة والفلاسفة هم دائما كائنات حاضرون بذواتهم ويحاضرون حول واقعنا ويتساءلون فيبحثون ويجيبون ويعيدون التساؤل من جديد وهكذا هي الفلسفة.

وكان قد عبّر عن هدا الطرح ادموند هوسرل في كتابه أزمة العلوم الأروبية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية من خلال إقراره بأن مهمة الفلسفة تكمن في العودة إلى الواقع المعيش حيث أنّه "**لا يدّعي أن الفلسفة يمكن أن تقوم بمهمة العلوم الوضعية، ولكنه يتساءل عن كيفية المحافظة على المهمة الأصلية للفلسفة مع وجود العلم الحديث. إنّ مهمة الفلسفة لا تكمن في التعبير عن مختلف قطاعات الوجود، بل في الرجوع إلى عالم العيش، الذي هو أرضية كل ممارسات الإنسان وإنجازاته، بما فيها العلوم الحديثة. إن هوسرل بعيد جدا عن تجاهل الوضعية الجديدة التي تتميز لظهور العلوم الوضعية، ولكنه يتشبث دون هوادة بضرورة الفلسفة وقضاياها وأسئلتها، حتى في زمن سيادة العلم والتقنية. لاشك أن هذا الموقف يتعارض مع الرأي السائد حول الفلسفة في الوقت الراهن، الذي يرى في تقدم العلم والتقنية مفتاح لحل كل مشاكل الوجود البشري، ويدعو إلى اعتبار الفلسفة أمرا ينتمي إلى ماضي الإنسان أو إلى إعطائها دورا محدودا تابعا للعلم. وعلى العكس من ذلك، فإن ما نتعلمه من هوسرل هو أن العلم والتقنية لا يغنيان عن الفلسفة، بل يجعلان وجودها أكثر ضرورة لتجاوز أزمة المعنى والتوجه التي تطبع العالم الراهن ولتجنب السقوط في "البربرية وعداء الروح... يجب على الفلسفة أن تبقى وفية لمعناها الأصلي، الذي يفرض عليها أن تضع الأسلوب العلمي–التقني السائد ذاته موضع سؤال**"(اسماعيل المصدق، 2016، ص11).و هذا الطرح الهوسرلي هو ما مارسته الفلسفة ولا زالت تمارسه من خلال الكثير من الطروحات الفلسفية التي برزت على سبيل، المثال فيما عرف بالفلسفة

التطبيقية، وتجلى بصورة اكثر وضوحا من خلال فلسفة العلم، فالفلسفة مهما يقال عنها ومهما اتهمت فإنها تبقى وفية لرسالتها وهي معالجة مشكلات اليومي بموضوعية وبمنهجية التحليل والنقد، أي المنطلق للتفكير الفلسفي اليومي الذي يحضر باستمرار ويحرّك إلى فعل التفلسف ولنا في التاريخ عبرة أن جلّ أفكار الفلاسفة وإبداعاتهم كانت تحاكي اليومي كفلسفة روسو، كانط، هابرماس...وغيرهم.

4. في ضرورة الفلسفة وعلاقته بالراهن

1.4 وظيفة الفلسفة وأهمّيتها العملية:

لقد أخذت الفلسفة معان ودلالات عدة جعلتها العلم الأوحد والأكثر مرونة، فهي صناعة، كما أطلقه عليها الفلاسفة المسلمين "**فصناعة الفلسفة هي مقولة انفردت بها العرب، مثلما انفردت بنعت كل فرع معرفي بمقولة (صناعة)، صناعة الطب، صناعة الشعر...إنّ أعلى الصناعات وأشرفها مرتبة صناعة الفلسفة ...والصناعة ككتابة: حرفة الصانع، وعمله الصَّنعة**"(محمد شوقي الزين، 2014، ص201). وهذا نفس التصور الذي قدمه ابن رشد والكندي والفارابي وسبقهم في ذلك أرسطو إلى اعتبار أنّ الفلسفة هي صناعة. وقد حذا حذوهم جيل دولوز عندما اعتبر الفلسفة هي فن صناعة المفاهيم، ومن قبله فنغنشتاين، حيث هي "**قليلة المذاهب التي كانت ترى في الفلسفة نشاطا عمليا، أي بوصفها صناعة وليس كتأمل عملي ونظري**"(محمد شوقي الزين، 2014، ص213).

إنّ الفكر كلما كان أكثر قربا من مشاغل الناس وهمومهم كلما كانت الفلسفة حاضرة وأخذت أهميتها المرجوة والحقيقية التي قامت بها عبر العصور الماضية، لأنه "عندما يقترب التفكير من مشاغل الناس وهمومهم بآليات الفلسفة وتقنياتها مطيحا بذلك أرستقراطيتها سيكون مجبرا على إبراز صبغتها العملية التطبيقية، وسيعتبر أن المجال الحقيقي لها قد تحدد الآن في الراهن بمجرياته وأحداثه. معنى ذلك أن الفلسفة لم تعد تقتصر على دراسة الوجود الإنساني في كنهه فقط بل وأيضا في تمظهراته الفردية والاجتماعية"(فتحي التريكي، 2009، ص13)، وهنا تتجلى الفلسفة وينكشف حضورها وتبرز قيمتها وأهميتها لدى العامة والخاصة.

فالبحث في كنه الوجود تعدته الفلسفة إلى البحث في تفاصيله ومختلف مظاهرها لإجتماعية والفردية فأضحت تتلمسه في راهنيته وحقيقته بل وأصبح الفلاسفة يتمثّلونه ويستشعرونه، وهذا الاستشعار للواقع ولليومي هو المهمة التي يجب أن يقوم بها الفلاسفة

والمتفلسفة وهي من صميم الذات الإنسانية التي تميل بطبيعتها إلى التفلسف إما من خلال التساؤل الذي هو صفة جوهرية للفعل الفلسفي باعتبار أنّ التساؤل هو من منبت الروح الفلسفية وطابعها الخاص، أو من خلال الخوض في مختلف القضايا اليومية والفكرية التي ترتبط بالإنسان ومختلف مظاهره السلوكية والعقلية.

ومن مظاهر الفعل الفلسفي في الحياة اليومية الحرية التي يحظى بها المرء بها عبر العصور فقد نادى الفلاسفة والمتفلسفة على حد سواء بضرورة الحرية في الفعل والعمل والتفكير لأنه "**نظرا للإقبال على رأي الآخر في الاعتماد على المناقشة النقدية وعليه يؤسس كارل بوبر لمنادي الحرية الفكرية ومسؤولية المفكرين اتجاه تحقيقها عبر آفاق المستقبل المفتوح**"(علي عبود المحمودي، 2012، ص155).

فإذا كانت مهمة الفلسفة بحسب ما يشير الى ذلك جود ديوي هي توضيح أفكار الناس المتصلة بنزاعاتهم الأخلاقية والاجتماعية لأزمنتهم "**فإن هذه النزاعات لن تنتهي وباستمرارها تستمر الفلسفة طالما بقيت في الثقافة فسحة من الحرية والانفتاح تجعل من نقد المؤسسات والممارسات إمكانية قائمة...وبوجود الحرية في الثقافة توجد الفلسفة ويصح كذلك العكس**"(علي عبود المحمودي، 2008، ص186).

هذا المستقبل الذي سعت الفلسفة إلى التأسيس إليه عبر مختلف محطاتها التاريخية حيث استطاعت أن تكرّس تنوعها وتبرز تواجدها في مناحي الحياة المختلفة فتبلورت بشكل عفوي لدى المبدعين من الفنانين والرسامين والموسيقيين والشعراء والأدباء والعلماء والفقهاء، وأيضا أصحاب الاختصاصات المختلفة، إضافة إلى عامة الناس بمن فيهم من رفض الفلسفة لفظا وشيوعا، ومارسها واستلهمها وعاشرها طوعا لا شعورا، فهذا حال الكثير من الأفراد والأشخاص من العامة و الخاصة وهنا تتولد "**الفلسفة الشريدة المفتوحة والمتنوعة التي تعانق دائما الحياة اليومية وتنصت إلى هموم الناس ومشاغلهم...فالفلسفة مهما كانت توجهاتها هي توضيح للمفاهيم والتصورات وتحديد الأفكار والمجالات ونقد الأطروحات والمواقف وهي بذلك إبداع متواصل وانفتاح على كل الأفكار والمعتقدات دون اقصاء أو تطفل**"(فتحي التريكي، 2009، ص12).

ومادامت الفلسفة هي اكتشاف للعنصر العقلي فإنها لهذا السبب نفسه إدراك للحاضر وللواقع بالفعل، فالفلسفة هي إدراك للواقع الفعلي وليس مهمتها أن تشيّد عالما في الماوراء وهذا ما

ذهب إليه هيغل في كتابه أصول فلسفة الحق حين قال: "**من المرغوب أن تُفهم الفلسفة أنّ مضمونها ليس إلاّ الواقع الفعلي، أعني لبّ الحقيقة الذي نتج في الأصل، وينتج ذاته في تطاق حياة العقل، وأصبح هو الذي يشكّل العالم الداخلي والخارجي للوعي**"(محمد شوقي الزين، 2014، ص12). فتوجه الفلسفة إلى الواقع أي قضايا الراهن هو الأمر الذي يمكّنها من استرجاع ثقافة السؤال واسترجاع قوتها ومكانتها وأصالتها، لهذا نجد شفيستر ينتقد الحالة التي وصلت إليها النزعة العقلية التي تقوم بوظيفة الفلسفة مجازا لا حقيقة، في الخيال لا في الواقع، فأخذ الفلسفة بالمرجعيات العريقة أو الحديثة هو سبب عدم فاعليتها، "**لم يعد فيها أي عنصر أساسي يمكن أن يصبح فلسفة للشعب..إن قيمة أي فلسفة هي في النهاية إنّما تقاس بقدرتها أو عجزها، عن أن تتحول إلى فلسفة حية للشعب**"(محمد شوقي الزين، 2014، ص666).

وبهذا تتجلى ضرورة الفلسفة وقيمتها من خلال اهتمامها بالقضايا الراهنة، بتجلياتها المختلفة التي تجعل الفلسفة تنطلق منها لترتقي إلى عالم الفكر عبر التساؤل والتحليل والتفكير، لتعود إليها برؤية متوازنة منطقية وعقلانية تحاكي بها القضايا الراهنة وتجعل منها حلولا لمشكلاتها.

2.4 الفيلسوف واليومي اتصال لا قطيعة:

تظهر قيمة الفلسفة من خلال الاتصال الوثيق بين الفيلسوف وواقعه اليومي، والتي تكون جليّة في أفكاره التي تنسجم والراهن وتعبّر عنه نقداً وتحليلاً، وقد تَجَسّدَ هذا بوضوح في فلسفة ميشال فوكو الذي درس الفلسفة واهتم بها، ونظرا لما تقدمه الفلسفة للواقع فهي تهتم بالمحيط الخارجي للإنسان وأحاطت به من كل جوانبه إذ أنّ فوكو يقول في هذا السياق: "**أنه ان كانت هناك فلسفة حرة مستقلة عن كل الميادين هي نشاط تشخيصي ففوكو يرى أن الفيلسوف هو من يشخّص أمراض الواقع المعاش ويحلّل حاضره، فيصبح المشروع الفلسفي مشروعا يهتم بحاضرنا وبواقعنا المعاش قبل اهتمامنا بماضينا**"(فتحي التريكي، 2009، ص22).وبهذا فالفيلسوف في رأي ميشال فوكو هو من أعطى أهمية للواقع وعالج المشكلات كما أن الفيلسوف في رأي فوكو يهتم بحاضر الإنسان أكثر من الماضي.

انطلاقا من هذا فإن مهمة الفيلسوف أصبحت تتحدد ليس فقط بمعايشته لعصره وقِيَمِ هذا العصر، بل أصبح من الضروري عليه الإنخراط في نقد هذه القيم وأن يكون

الضمير الذي يفكر فيها بطريقة مختلفة، وهنا نستحضر فرونسوا ليوتارد في إحدى مؤلفات الشباب في اختلاف الأنساق الفلسفية فيخته وشيلينغ يقول هيغل: "**عندما تتلاشى القوة الموحدة لحياة البشر وتفقد التناقضات علاقتها وتفاعلاتها الحية وتحصل على استقلالها الذاتي تنشأ الحاجة إلى الفلسفة...**"، هذا جواب واضح كل الوضوح عن سؤالنا لماذا نتفلسف" **إن هذا اللفظ لهيغل يبين بوضوح أن الفلسفة تنشأ في الوقت الذي يفنى فيه شيء ما...**" فعندما تفقد الوحدة وتنشأ الأضداد تبرز وتظهر الفلسفة ويشارك الفلاسفة الحياة بمختلف أضدادها وتناقضاتها.

فالخطاب فلسفة والرغبة فلسفة والكلام فلسفة والغياب فلسفة والحضور فلسفة والصمت فلسفة والنقد فلسفة والهدم فلسفة، فكل سؤال يمكننا أن نجيب عليه بسؤال آخر فمثلا "**يمكننا أن نجيب عن سؤال لمادا نتفلسف؟ بسؤال آخر: لمادا نتكلم؟ وبما أننا نتكلم، فما الذي يعنيه الكلام؟ وما الذي لا يقدر الكلام عليه وله؟...**"(جان فرانسوا ليوتارد، 2017، ص95)، فالحياة كلها فلسفة والفيلسوف هو من يعبر عن عوزه الدائم لهذه الفلسفة التي هي حياة، والحياة يغيرها الفلاسفة حيث كانت الأطروحة الثانية حول فيورباخ التي ألفها ماركس الشاب تقول "**مافتئ الفلاسفة يتأولون العالم بأشكال متعددة، في حين كان لزاما عليهم تغييره**"(جان فرانسوا ليوتارد، 2017، ص101)، لهذا يمكن للفلسفة أن تلعب الدور العلاجي للثقافة ككل فهي التي تؤكد على حرية الفرد في التفكير والخيار والقرار، فهي التي تحرر ولا تسجن كما تفعل الاديولوجيا. من هنا تبرز الصلّة الوثيقة بين الفيلسوف واليومي فالعلاقة بينهما طبيعية في مستوى الوثوق إذ لا قطيعة بين الفيلسوف والراهن كما يدعيه البعض المتحيّزين لنزعة علمية أو دينية أو ايديولوجية يتهمون الفلسفة ومعها الفيلسوف بالانفصال عن الواقع اليومي والانزواء إلى الذات والبعد عن الراهن، هذا الموقف الذي لا يستقيم مادام فعل الفلسفة يستهدف الإنسان والواقع والحياة عن طريق التساؤل و التفكي، لذلك أصبح من الضروري مراجعة هذه الأفكار ورفع التهم عن الفيلسوف التي لا تبرير لها سوى العصبية والدوغمائية ليتحرر العقل ويتطور الإنسان والمجتمع.

5.الفلسفة واليومي رؤية نقدية تقييمية.

1.5 حقيقة الفعل الفلسفي:

رغم قيمة وأهمية الطرح الذي يؤكد على أهمية الفعل الفلسفي، إلا انّ هذا لا يجعلنا نغفل عن القول بالحقيقة التي يجب إقرارها وهي أنّ "**الفلسفة ومنذ رحيل أرسطو عرفت انتكاسات متتالية خرجت على أثرها عن مضمونها الحقيقي التي وجدت من أجله، فبعدما كانت تمثل الحضور، تبحث في الوجود واللاوجود، في العقل ووظائفه، التي شكلت مواضيعها، تراجعت وانحسرت خلال الفترة الهلينيستية، منكمشة على مواضيع النفس ...مكتفية بطرح تساؤلات، تعكس الخوف والنفور بكل أشكالهما، فلم تعد تهوى المغامرة المعرفية كما كانت مع سقراط وأفلاطون وأرسطو...**"(مونيس بخضرة، 2009، ص158)، وهذا الانحدار كان متوقعا نظرا للتطور الذي بلغته من قبل.

كما أن هناك حقيقة أخرى يجب الاعتراف بها، والتي كانت سببا في انحدار الفكر الفلسفي وتراجعه بعدما بلغ نضجه وقوته، وهو بحث الفلسفة في اليوتوبيا التي ظهرت في أعمال أفلاطون وأرسطو المتأخرة، والتي تمثل كتابات الشيخوخة، "**واليوتوبيا بالنسبة لهما كانت الخيار الوحيد للاستمرار فيه فلسفيا، وهذا راجع لاستنفاذهما لكل المواضيع التي كانت في إمكان العقل، والتي لم تخرج عن واقعهم، هذا الاستنفاد قاد إلى خلق مواضيع جديدة أقرب إلى الخيال من الواقع ليبررا بها حضورهما الفلسفي في مجتمعاتهم...والأكيد أن الفلسفة حينما تصير يوتوبية يصيبها الشلل الذي يفقدها حيويتها وجوهريتها**"(مونيس بخضرة، 2009، ص158). وعليه فإنّ الفلسفة حينما تصير يوتوبية فإن وجودها أصبح مهددا وهذا هو حالها اليوم، لهذا لا بد من إخراج الفلسفة من اليوتوبيا التي كانت سببا في انتكاسة المعجزة اليونانية.

2.5 الفلسفة بين مسارات الغربة والغرابة:

إن تاريخ الفلسفة يبيّن لنا في كل مرة نعود إليه أو نطلع عليه أن الفلسفة بدأت غريبة وعاشت الغربة، فبداياتها كانت في بلاد اليونان، أين اتهم سقراط بالخروج عن نظام المدينة، وعدم احترام آلهة أثينا، وأكثر من هذا اتهم بإفساد عقول شبابها، فكانت نهايته بعد هذا وبعد كل ما قدمه لأثينا من خدمات عسكرية وفكرية جليلة، وقبل سقراط اتهم كل متأمل متفلسف بالخروج عن نسق العادات والمعتقدات والأعراف، وهذا ما حدث كذلك في فترة العصور الوسطى من خلال ممارسات الكنيسة ضد المفكرين والفلاسفة وضد الفلسفة ذاتها،

وأيضا هذا ما عاشه الفلاسفة في الفترة الحديثة، كل هذا يجعلنا نستنتج أن سؤال الفلسفة هو سؤال الغريب في غربته، فكانت الفلسفة غريبة "**دوما وما أشد غرابة الفلسفة، في منشئها وصيرورتها وراهنها، وما لا تفقده الفلسفة في هذه المسارات إنما هو غَرابتها وغُربتها، فهي على التحقيق سؤال الغريب عن روح عصره، بالرغم من أنّ المناحي الوضعية في التفكير تعتقد بأنّ تاريخ الفلسفة هو تاريخ تراجعها، وأنّ العقل العلمي هو الذي يعقب العقل التأمّلي، إلاّ أنّ الفلسفة ما انفكّت تذكر حفّاري قبرها بأنّهم لن يستطيعوا الاستغناء عنها، فأسئلة القلق الفلسفي والمعنى والقيمة بالرغم من سطوة أنظمة المعرفة العلمية قد انبعثت فيها الحياة من جديد، وما ذلك إلاّ لأنّ الإنسان المعاصر قد أضحى يفتّش عن إمكانات للحياة جديدة، بعد أفول الأمان الوجودي واغتراب الوعي الفردي في عصر الصناعة**"(عبد الرزاق بلعقروز، 2010، ص11).

بهذا تظل الفلسفة و يبقى الفلاسفة موجودين ومؤثّرين ومشاركين في الحياة، فلكل فرد فلسفته في الحياة فقط، والبعض لا يعترف أو لا يدرك أنه فيلسوف بطريقة أو بأخرى لأنه يمارس نوعا من التفكير و التأمل و الحرية و النقد و السؤال و البحث، وهذا ما يبرز درس الفلسفة في الحياة اليومية وفي الواقع المعاش، لهذا لن نعود إلى مفهوم الفلسفة إلا من خلال الإشارة على أنه يمكن أن نستقي ونتبين أن هناك مفهومين للفلسفة وهما المفهوم بالمعنى العام والمفهوم بالمعنى الإجرائي، فالأول هو الذي يتنكّر إليه الناس ويرفضونه وهو الشائع والعام، في حين الثاني يمارسونه ويعايشونه لكن لا يدركون أنه من صميم الفكر الإنساني ولا يستشعرون أنه فلسفي بصيغة إجرائية، فمنبعه هو المفهوم النظري أي الأول لأن كل عمل فكري هو منطبق على شيء ما، وما هو سوى عملية مترتبة عن تلك العمليات العقلية المتعاقبة.

فقد أصبحت الفلسفة في العصر الحديث والمعاصر تهتم أكثر من ذي قبل بما هو كائن، تبحث في الحضارة الراهنة، حضارة القمع والإرهاب، كما ينعتها الفيلسوف المعاصر اربرتماركيوز في كتابه "**الإنسان ذو البعد الواحد**"، لهذا على الممارسة الفلسفية الاهتمام بتشخيص أمراض هذه الحضارة لأنّ الفلاسفة كما يقول نيتشه هم أطبّاء الحضارة، خاصة بعدما أصبحت "**الحضارة أكثر تناطوسية(نسبة إلى الإله تيناطوس إله الموت)، فبدا الوجود أكثر شهريارية من شهرياررمز سفك الدماء الاعتداد بالنفس المفتعل**"(سليم دولة،

2008، ص89)،خاصة في ظل الصراع القائم بين القوتين العظيمتين وبحثهما المتواصل عن تقاسم مواطن النفوذ.

6. خاتمة:

ما نستنتجه في الأخير أن هناك علاقة وطيدة حقاً بين الفلسفة والواقع وأن الفلسفة في اتصال دائم باليومي المعيش لا تعرف كيف تنفصل عنه، فمنه تنطلق وإليه تعود لتعبّر عن قضاياه ومشكلاته. وأنّ الفيلسوف طبيب الإنسان والمجتمع على مستوى القيم والمبادئ وأسس الحياة والتفكير، وهذا ما يجعله يختلف عن الطبيب المتعارف عنه فهو مهندس للسياسات والحضارات يقدّم الحلول والبدائل يحاكي الراهن في جميع مراحله، وخير دليل على هذا أنّ نهضة أمريكا وأروبا ما كانت لتكون لولا جهود فلاسفتها وأفكارهم التحررية التنويرية التي لم تكتف بفهم الواقع وإنّما ثارت عليه وعملت على تغييره.

وأنّ النظرة السلبية للفلسفة هي نظرة قاصرة تستهدف التفكير والعلم برمته، لذلك لابد من الخروج إلى الفضاء الواسع ومناقشة الأفكار لندرك حقاً قيمة الفلسفة والمشتغل بها.

. قائمة المراجع:

- *عبد الرزاق بلعقروز، السؤال الفلسفي ومسارات الانفتاح، تأولات الفكر العربي للحداثة وما بعد الحداثة، الدار العربية للعلوم ناشرون،ط1 ، (الجزائر،منشورات الاختلاف، 2010)، ص68.*
- *عبد الرزاق بلعقروز، المرجع نفسه، ص70.*
- *محمد جديدي، الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي، ط1(الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، 2008)، ص265.*
- *محمد جديدي، المرجع نفسه، ص265.*
- *عبد الرزاق بلعقروز، السؤال الفلسفي ومسارات الانفتاح، تأولات الفكر العربي للحداثة وما بعد الحداثة، الدار العربية للعلوم ناشرون،ط1 ، (الجزائر، منشورات الاختلاف، 2010)، ص76.*
- *عبد الرزاق بلعقروز، المرجع نفسه، ص80.*
- *عبد الرزاق بلعقروز، المرجع نفسه، ص87.*
- *عبد الرزاق بلعقروز، المرجع نفسه، ص110.*
- *فتحي التريكي، فلسفة الحياة اليومية،ط1 ، (الدار المتوسطة للنشر، 2009)، ص6.*
- *سليم دولة، ما الفلسفة، (سورية، دمشق، دار الفرقد للطباعة والنشر، 2008)، ص06.*
- *فتحي التريكي، فلسفة الحياة اليومية،ط1 ، (الدار المتوسطة للنشر، 2009)، ص60.*
- *فتحي التريكي، المرجع نفسه، ص 64.*

- لخضر مذبوح، فكرة التفتح فلسفة كارل بوبر، قراءات في فكر فتحي التريكي، منشورات الاختلاف للنشر و التوزيع، الجزائر، ط1، 2009، ص159.
- اسماعيل المصدق، هوسرل وأزمة الثقافة الأوربية، مدارات فلاسفة، العدد الاول،2016)، ص11.
- محمد شوقي الزين، الثقاف في الأزمنة العجاف، فلسفة الثقافة في الغرب وعند
- العرب،ط1، (الجزائر، منشورات الاختلاف، 2014)، ص201.
- محمد شوقي الزين، المرجع نفسه، ص213.
- فتحي التريكي، فلسفة الحياة اليومية،ط1، (الدار المتوسطة للنشر، 2009)، ص13.
- علي عبود المحمودي، الفلسفة السياسية المعاصرة من الشموليات الى السرديات الصغرى،ط1، (وهران، ابن النديم للنشر و التوزيع، 2012)، ص155.
- محمد جديدي، الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي، ط1 (الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، 2008)، ص186.
- فتحي التريكي، فلسفة الحياة اليومية،ط1، (الدار المتوسطة للنشر، 2009)، ص12.
- محمد شوقي الزين، الثقاف في الأزمنة العجاف، فلسفة الثقافة في الغرب وعند
- العرب،ط1، (الجزائر، منشورات الاختلاف، 2014)، ص12.
- محمد شوقي الزين، المرجع نفسه، ص666.
- فتحي التريكي، فلسفة الحياة اليومية،ط1، (الدار المتوسطة للنشر، 2009)، ص22.
- جان فرانسوا ليوتارد، لماذا نتفلسف، ترجمة: يوسف السهيلي،ط1، (دار التنوير للطباعة والنشر، 2017)، ص95.
- جان فرانسوا ليوتارد، المرجع نفسه، ص101.
- مونيس بخضرة، تاريخ الوعي، مقاربات فلسفية حول جدلية ارتقاء الوعي بالواقع، منشورات الاختلاف،ط1، (الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2009)، ص158.
- مونيس بخضرة، المرجع نفسه، ص158.
- عبد الرزاق بلعقروز، السؤال الفلسفي ومسارات الانفتاح، تأولات الفكر العربي للحداثة وما بعد الحداثة، الدار العربية للعلوم ناشرون،ط1، (الجزائر، منشورات الاختلاف، 2010)، ص11.
- سليم دولة، ما الفلسفة، (سورية، دمشق، دار الفرقد للطباعة والنشر، 2008)، ص89.